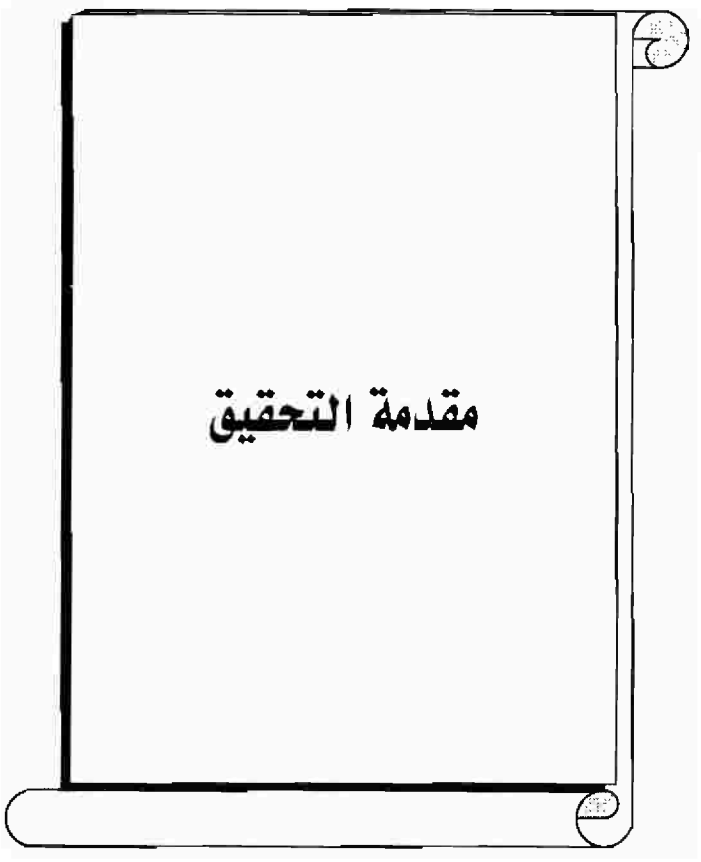
مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هادى له.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صَلِّ وسَلم عليه وعلى آله وصحبه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإن من رحمة الله ـ عز وجل ـ بخلقه منذ آدم ـ عليه السلام ـ أنه ـ سبحانه ـ أرسل إليهم رُسُلًا، وأنزل عليهم كُتُبًا ؛حتى يحققوا الغاية من وجودهم فوق هذه البسيطة، دون زيغ أو انحراف ، يشذ بهم عن هذه الغاية التى هى أسمى الغايات وأجلّها : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات] ، وهى مقصود خَلْق الإنسان وجَعْله خليفة فى الأرض : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

هذا إذا أراد الخَلْق سعادة الدنيا والآخرة ، حيث إنهم لن يجدوا ذلك إلا عن طريق الوَحْى ، بل لو قَصَد الناسُ الدنيا وفقط فإنه لن تنصلح حياتهم ـ أيضا ـ إلا من خلال هذا الوحى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك]، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه]، هذا الوحى الإلهى المتمثل فى كتاب الله عز وجل ـ القرآن ـ وسنة النبى ﷺ ، والذى قال عنهما النبى ﷺ : «تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنتى »[1] .

وهذا الكتاب القيّم لإمامنا الجليل ابن القَيِّم: «زاد المعاد فى هدى خير العباد »

قد تناول كل حياة النبى ﷺ ، منذ ولادته إلى أن التحق بالرفيق الأعلى، فمن أراد الإسلام ـ بكتابه وسنته ـ يتحرك على الأرض ، فعليه بمعرفة حياة النبى ﷺ من كل جوانبها ، العامة والخاصة ، بكل أحداثها وملابساتها .

وهذه المعرفة لحياة النبى ﷺ وهديه لابد لكل مسلم أن يقف عليها، إذ إنه ـ كما قال ابن القيم فى مقدمة كتابنا هذا : « بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة ، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله تعالى علّق سعادة الدارين بمتابعته ، وجعل شقاوة الدارين فى مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة ، والولاية والتأييد، وطيب العيش فى الدنيا والآخرة ... ».

وبهذا الكلام النورانى يتبين لنا ـ أمة الإسلام ـ سبب ما نحن فيه من هَوانٍ وعيشة ضنكى ، وتكالب الأمم الكافرة علينا ، فنحن فى أعين هؤلاء غثاء كغثاء السيل ، كما أخبر المصطفى ﷺ ، وماكان لأمة القرآن التى أخرجت للناس ، والتى هى خير أمة ، أن يكون هذا حالها .

ومن هنا تأتى أهمية هذا الكتاب ، والذى لم أر من قام على تحقيقه تحقيقا علميا ، كما هو معلوم من أمر التحقيق، والذى يحتم على القائم بهذا العمل أن يذكر فى هامش الكتاب مقابلات المخطوطات حتى يطمئن القلب إلى الجهد المبذول فى

---

(١) الحاكم فى المستدرك (٣١٩) ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٣٧) .

تحقيق النص وضبطه وإخراجه ـ قدر الإمكان ـ على الشكل الذى أراده مؤلفه ، ولا يصح أن يقال : إننا لم نذكر ذلك حتى لا نثقل الهوامش على القارئ !! ثم يأتى ويثقل الهامش بالتخريجات التى يمكن اختصارها ،مع أن هذا ليس من صلب التحقيق . ولا بد من الجمع بين هذا وذاك حيث تظهر قيمة هذه المقابلات فيما يستدرك من سقط أو اختيار اللفظ الأليق بالمتن ، كما هو واضح فيما أشرنا إليه فى عملنا هذا .

– ومن الأمانة العلمية أن نشير إلى الجهد الذى بذله الأستاذان الكريمان : شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط فى تحقيق الكتاب (طبعة دارالرسالة) ، حيث كنت أعتبر – وكذا غيرى – أن عملهما هذا هو أفضل ما اطلعت عليه فى تحقيق الكتاب ، إلا أننى بعد قراءة مقدمتهما للتحقيق علمت بأنه لم يتوفر لديهما نسخ خطية إلا نسختين ناقصتين لنصف الكتاب من بدايته – هكذا قالا فى مقدمة التحقيق – وأنهما عوضا هذا النقص فى تحقيق الكتاب بإرجاع النصوص إلى مصادرها التى نقل عنها ابن القيم – رحمه الله – وكنت أظن أنهما استدركا هذا النقص فى المخطوطات فى الطبعة الجديدة للكتاب إلا أن هذا لم يحدث ، مما دفعنى إلى إعادة تحقيق الكتاب بعد الحصول على عدة مخطوطات – عددها ست – سوف نذكرها ونصفها فى مقدمتنا هذه .

وعليه ، فقد شرعنا فى تحقيق الكتاب لأسباب كثيرة أهمها :

١-الاطمئنان إلى تحقيق الكتاب تحقيقًا علميًّا متكاملاً .

٢-ما لاحظناه على «طبعة الرسالة »[1] من قصور فى أكثر من ناحية ، أهمها :

-وجود سقط فى عموم الكلام، ثم فى داخل النصوص الحديثية ، بل امتد الأمر إلى وجود سقط لأحاديث كاملة.

---

(١) يلاحظ أننا قارنا ما فى نسختنا بطبعة الرسالة باعتبارها – قبل صدور طبعتنا هذه – أهم الطبعات وأفضلها ، فغيرها من باب أولى يكون قصوره أشد ، ولذلك اكتفينا بطبعة الرسالة ، وقد أشرنا إليها فى هامش طبعتنا بعبارة : « فى المطبوع » .

-وجود أخطاء داخل النصوص الحديثية .

-وجود أخطاء فى الأعلام وبخاصة فى أسماء رواة الأحاديث .

وفيما يلى ذكر نماذج لهذا كله :

أولا : وقوع سقط فى عموم الكلام [١]:

راجع : جـ١ / ٢٣٠ السطر ٦ حيث سقطت هذه الفقرة من طبعة الرسالة [٢] :

« فوق الرسغ والساعد ، ولم يصح عنه موضع وضعها ، ولكن ذكر أبو داود عن على بن أبى طالب أنه قال : السنة وضع الكف تحت السرة ، وقال ابن أبى شيبة : السنة ما روى عن النبى ، وهو الذى ثبت عنه أنه كان يضع يمينه على شماله فى الصلاة .

قال أبو إسحاق الجوزجانى : وأما ما ذكر من فوق السرة وتحتها ، فإنى لا أعرفه عن النبى ، غير أن عليا قال : من السنة فى الصلاة المكتوبة : وضع اليمنى على اليسرى تحت السرة ».

وبالإمكان الرجوع إلى الصفحات التالية من طبعتنا للوقوف على ما فى طبعة الرسالة من سقط – على سبيل المثال لا الحصر حيث لم نستقص كل السقوطات فى هامشنا – :

ففى الجزء الأول :٥٤ ، ٦٦، ٦٨ ، ٧١ ،٧٨، ٨٣، ١١٠ ، ١١٥ ،١٥٦، ٢٠٤ ، ٢٥١ ، ٢٦٩ .

وفى الجزء الثانى : ٢٨ ، ٤٠ ،٧٣، ٧٤، ١٢٥، ٣٤٢، ٤٢٥.

وفى الجزء الثالث :١٣، ٤٩ ، ٥٢ ،١٧٨، ٢١٣، ٢٦٦ ، ٢٩٨ ، ٣١٤، ٣٨١ ، ٤١٤ ،٤٢٦، ٥١٧ .

---

(١) وهذا لا يمكن استدراكه إلا بالمخطوطات .

(٢) راجع الرسالة : الجزء الأول ، صفحة ١٩٥ ، السطر ٣ .

وفى الجزء الرابع :١٥٧، ٥٨٠، ٦٣٧، ٦٤٣، ٦٩٠ .

وفى الجزء الخامس :٥٩، ٦٦، ٧٥، ٧٩، ٣٢٨، ٣١٦، ٣١٥، ٤٦٠، ٥٣١، ٧٠٧، ٧٢٤ .

ثانيًا : وقوع سقط داخل النصوص الحديثية :

راجع : جـ١ / ٢٦٩ السطر ١١ حيث سقط من الحديث فى طبعة الرسالة[١] عبارة «ثم يسجد » . مع العلم أن الإخوة المحققين قالوا – حيث لم يكن لديهم مخطوطات- : إننا راجعنا النصوص بمقابلتها على المصادر التى نقل عنها ابن القيم !!

ويمكن ملاحظة مثل ذلك – على سبيل المثال أيضًا – بالرجوع إلى طبعتنا فيما يلى :

فى الجزء الأول : ٥٤، ٢٠٤، ٢٥١[٢].

وفى الجزء الثانى : ٢٩٥[٣].

وفى الجزء الثالث : ٥٢، ١٦٢، ١٩٦ .

وفى الجزء الرابع : ٢٥٩ .

وفى الجزء الخامس : ٦٦، ٤٠٥[٤]، ٧٢٤ .

ثالثًا : وقوع سقط لأحاديث كاملة :

راجع – على سبيل المثال – ما يلى :

-الجزء الأول ، ص ٢٠٤ سطر٦ (يقابل الصفحة ١٧٠ السطر الأخير من الرسالة) : سقط: « كان أنس لا يرد الطيب » .

---

(١) فى الجزء الأول ، صفحة ٢٣٨ ، السطر ١٠ .

(٢) فالسقط وهو : « عائشة و » جعل طبعة الرسالة (٢/ ٢١٨ السطر ١٢) تروى الحديث عن ابن عمر فقط – وهو المذكور بعد هذا السقط – مع أنهما حديثان – راجع تعليقنا .

(٣) راجع تعليقنا ، حيث إن طبعة الرسالة (٢ / ٢٧١ سطر ١٥) تعاملت مع النص على أنه – بسبب السقط – حديث واحد لابن عباس ، مع أنهما حديثان ، أحدهما لعائشة – رضى الله عنها – والثانى لابن عباس .

(٤) ترتب على هذا السقط تخريج النص على أنه حديث واحد ، مع أن هذا الاستدراك أبان أنهما حديثان. ولذا خرج فى الرسالة – بسبب هذا السقط – على أنه حديث واحد !!

-الجزء الثانى ، ص ٤٠ (يقابل الصفحة ٣٢ من الرسالة) سقط : « وفى الصحيحين مثله من حديث عائشة وأنس ، وفى بعض ألفاظ حديث أنس : « إنى أظل يطعمنى ربى ويسقينى » .

رابعًا :وقوع أخطاء داخل النصوص الحديثية مخالفة للمصادر المنقول منها ، وكذا أخطاء فى أسماء المصادر ، مثل [١] :

- فى الرسالة (١ / ٣٥٠ سطر ٤)قوله : « الثلث الثانى » ، والصواب كما أثبتناه (١ / ٣٧٨ سطر ٤) من المخطوطات وهو : « ثلث أمتى » .

- فى الرسالة (٢ / ١٨٤ سطر ١٣) قوله : « لا تبدآن بشىء أول من الطواف بالبيت ».والصواب كما أثبتناه (٢/ ٢٠٦ سطر ١٧) من المخطوطات وهو : « لا تبدآن بشىء أول من البيت » وهو هكذا عند مسلم المنقول عنه .

- فى الرسالة (٢ / ٣٨٠ سطر ١٠) قوله : «يرى ما أرى » .والصواب كما أثبتناه (٢/ ٤٠٨ سطر ٧) وهو : « ترى ما لا أرى » هكذا عند البخارى المنقول عنه [٢].

- فى الرسالة (١ / ٢٢٨ سطر ٧) قوله : «رب كل شىء ومليكه » ، فلفظة «ومليكه »ليست فى نص رواية المسند ، وسنن أبى داود المنقول عنهما ، والصواب كما أثبتنا (١ / ٣١٥ سطر ٧) النص بدونها من النسخ المخطوطة .

-فى الرسالة (١ / ٤٥٨ سطر ١٤) عبارة : « وقد رواه أحمد والترمذى والنسائى »، والصواب كما أثبتناه (١ / ٤٩٠ سطر ٧) من المخطوطات بدون « والنسائى » . فهى زائدة ، ولذلك لم تخرج فى الرسالة [٣].

---

(١)وكان ينبغى الانتباه إلى ذلك إذا افترضنا مقابلة النصوص على مصادرها فى القسم غير المقابل على مخطوط.

(٢)وقد ترتب على هذا الخطأ إسناد الرؤيا إلى الله عز وجل بلفظ «يرى » مع أن المقصود بالرؤية النبى ﷺ وهو ما أفاده لفظ « ترى» .

(٣)ومثال ذلك ما أشرنا إليه فى الجزء الرابع ، صفحة ٦٤ .

خامسًا : وقوع أخطاء فى أسماء الرواة ، مثل [١]:

-فى الرسالة (١ / ٣٩٥ سطر ٢٠) قوله : « من حديث أبى نعيم المسعودى » ، والصواب : « من حديث أبى نعيم ، ثنا المسعودى » كما أثبتناه (١ / ٤٢٦ سطر ٢) من المخطوطات وكما هو فى المعجم الكبير .

-فى الرسالة (١ / ٣٩٨ سطر ٢) قوله : « حدثنا عبد الله بن موسى » ، والصواب: « حدثنا عبيد الله بن موسى » كما أثبتناه (١ / ٤٢٨ سطر ١٤) .

- فى الرسالة (١ / ٤٦١ سطر ١٢) قوله : « هشام عن عروة » ، والصواب : «هشام بن عروة » ولا يخفى الفرق الشديد بينهما . والصواب كما أثبتناه (١ / ٤٩٣ سطر ٩) من المخطوطات ومعرفة السنن والآثار [٢] .

سادسًا : إضافة إلى بعض المخالفات الأخرى بصفة عامة ، نحو تقديم وتأخير فى العبارات يؤدى إلى تغير المعنى [٣] ،ونحو تحريف فى بعض الكلمات الذى يؤدى إلى غير مراد المصنف [٤] .

ومن هنا كان لنا شرف تحقيقه والقيام بخدمته، حيث إنه لأول مرة ـ بفضل الله ـ يُحقَّق الكتاب من أوله إلى آخره على مخطوطات تحقيقا علميا، وهو ما لم نُسبق إليه ، ونحمد الله على توفيقه وله الفضل أولا وآخرا . ولا يعنى كلامنا هذا أننا نبخس غيرنا ما قام به من جهد ، فالكل مأجور إن شاء الله على نيته وقصده ،وجزى الله الجميع خيرا وتقبل منهم، وجعله فى ميزان حسناتهم.

---

(١) وكان ينبغى استدراك ذلك حيث قيل بأن النصوص الحديثية مقابلة على مصادرها ، وهذا تابع لها .

(٢) ويمكن الرجوع إلى المواضع التالية من طبعتنا للوقوف على مثل ذلك : ١ / ٤٣٧ ،٤٩٤ ،٤٩٨ ، ٢/ ١٣ ، ١٤ ،٦٣ ، ١١٢ ، ١٢٠ ،٣/ ٣٠٥ .

(٣) انظر على سبيل المثال : ما أشرنا إليه فى الصفحة ١١٢ من الجزء الأول .

(٤) انظر على سبيل المثال : ما أشرنا إليه فى الصفحة ٥٨ من الجزء الثالث .

نسخ (مخطوطات) الكتاب :

لقد يسر الله لنا الحصول على ست مخطوطات مخطوطة لتحقيق الكتاب ، بعضها كاملة والبعض الآخر به نقص بدرجات متفاوتة ، ولكنها عملت كلها متكاملة فى تحقيق النص، وفيما يلى أوصافها:

١- نسخة الخزانة العامة بالرباط :وهى نسخة كاملة ، تتكون من جزأين، الجزء الأول (٢٧٧) لوحة، والجزء الثانى (٢٧٢) لوحة، وعدد أسطر الصفحة فى الجزأين (٢٧) سطرا.

ورمزنا لها بـ(خ).

٢- نسخة المكتبة الكتانية بالمغرب :وهى تتكون من ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول (٢٤٢) لوحة ، وعدد أسطره (٢٥) سطرا، وبه نقص يسير من أوله، والجزء الثاني ناقص، والجزء الثالث (٢١٤) لوحة، وعدد أسطره (١٩) سطرا. والخط يختلف عن خط الجزء الأول.

ورمزنا لها بـ (ك).

٣ـ نسخة المكتبة المتوكلية العامة: وهي عبارة عن جزأين ، الجزء الأول ناقص والجزء الثاني (٢٥٨) لوحة، وعدد الأسطر (٢٦) سطرا.

ورمزنا لها بـ (م).

٤ـ نسخة مكتبة كلية القرويين بفاس: وهي تتكون من ثلاثة أجزاء، الجزء الأول (٢١٤) لوحة، وعدد أسطره (٢٥) سطرا، والجزء الثاني (٢٠٢) لوحة، وعدد أسطره (٢٥) سطرا، والجزء الثالث (٢٣٧) لوحة، وعدد أسطره (٢٥) سطرا، وبه نقص من أوله.

ورمزنا لها بـ (ق).

٥ـ نسخة مكتبة الحرم المكي: وهي عبارة عن جزأين، الجزء الأول (٢٤٩) لوحة، وعدد الأسطر (٢٩) سطرا، والجزء الثاني ناقص .

ورمزنا لها بـ (خ).

٦ـ نسخة أخرى عن المكتبة الظاهرية: وهي تتكون من ثلاثة أجزاء، الجزء الأول ناقص، والجزء الثاني (٢٠٨) لوحة، وعدد أسطره (٢٥) سطرا، والجزء الثالث (١٢٨) لوحة، وعدد أسطره (٢٥) سطرا.

ورمزنا لها بـ (هـ).

عملنا في الكتاب (منهج التحقيق):

١ـ مقابلة النسخ الخطية، وإثبات اختلاف المقابلات بالهامش، وإثبات الأصح والأولى بالمتن.

٢ـ مراجعة الأحاديث على مصادرها، وإن كان هناك اختلاف أشرنا إليه، وأثبتنا الأصح فى المتن .

٣ـ شرح الكلمات الغريبة بالمتن أو داخل الأحاديث والآثار، من كتب اللغة وكتب شرح غريب الحديث ، وضبطناها بالشكل.

٤ـ تخريج آيات القرآن الكريم.

٥ـ تخريج أحاديث الكتاب، وبيان درجتها على النحو التالي:

أـ ما كان في البخاري ومسلم أو في أحدهما، اكتفينا بتخريجهما فقط، اعتمادًا على صحة أحاديثهما.

ب ـ ما كان في غير البخاري ومسلم بينا درجته بالرجوع إلى تصحيح أو تضعيف القدامى، أو المحدثين من أمثال العلامة الشيخ أحمد شاكر ، والعلامة الشيخ ناصر الدين الألباني.

وهنا لابد من إشارة مهمة ، وهى : أننا عند الإحالة على مصادر التخريج إنما نكتفى باسم الكتاب ورقم الحديث عند اتفاق الطبعات فى الترقيم ، أما ما ليس مرقما فإننا نكتفى باسم الكتاب والجزء والصفحة ، وأحيانا نجمع بينهما فيما يختلف ترقيمه فى أكثر من طبعة . ولا نذكر اسم الباب ؛ لأن ذكر ذلك زيادات وإثقال للهامش بما يُستغنى عنه ولو كان ذلك ميزة لذكرناه وأطلنا ربما عن غيرنا ، فما أسهل ذلك وأيسره . إذ يمكن الوصول إلى الحديث فى مصدره عن طريق الرقم فقط أو الجزء والصفحة ، وذلك لمن أراد الاستيثاق أو الوقوف على النص فى مصدره والمزيد من المعرفة والعلم .

٦ـ تشكيل وضبط ما يشتبه من الكنى والأسماء.

٧ـ استحداث عناوين رئيسة تحت كلمة (فصل) إذا استدعى الأمر، ووضعناها بين معقوفين حتى لا تتداخل الموضوعات فى بعضها ، ويسهل على القارئ الوصول إلى مبتغاه .

٨ ـ عمل فهرس مفصل للموضوعات نهاية كل جزء ، حتى يمكن الاستفادة من المادة العلمية الغزيرة فى الكتاب، والتى أغنتنا عن عمل عناوين جانبية بالكتاب داخل متنه .

٩ـ عمل فهارس عامة للكتاب ليسهل الاستفادة منها، وهى:

أ ـ فهرس الآيات القرآنية .

ب ـ فهرس الأحاديث والآثار .

جـ ـ فهرس الأعلام .

د ـ فهرس الأماكن والبلدان .

والله نسأل أن يتقبل منَّا هذا العمل، ويتجاوز عن كل خلل أو زلل لا يخلو منه

بشر، وأن يجزي خيرًا كل من أعان، وأسدى لنا نصحًا ، رجاء أن يكون هذا العمل على الوجه اللائق بهذا الكتاب النفيس، والحمد لله رب العالمين.

المنصورة : ١٢ من ربيع الآخر ١٤٣١ هـ — أنور الباز

٢٨ مارس ٢٠١٠م

ترجمة ابن القيم
رحمه الله

ترجمة المؤلف

نسـبه وولادته:

هو الإمام الحافظ المحقق العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر ابن أيوب بن سعد بن حريز الزُّرَعِىّ الدمشقى الحنبلى.

شهرته:

اشتهر إمامنا - رحمه الله- بين العلماء وطلاب العلم بـ «ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة»[1]؛ لأن أباه كان قَيِّمًا على المدرسة التى أنشأها الإمام أبو المحاسن يوسف بن عبد الرحمن ابن على الجوزى (٦٥٦هـ) بدمشق مدة من الزمن ، واشتهر به ذريته وحفدتهم من بعد ذلك .

وأحيانًا يُطلق عليه لدى المتأخرين وإلى يومنا هذا «ابن القَيِّم»اختصارًا، وتجوّزًا، ولا ضير.

ميلاده:

وكانت ولادته فى اليوم السابع من شهر صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة من العام الهجرى فى قرية زرع، والتى تبعد عن مدينة دمشق بنحو خمسة وخمسين ميلا جنوب شرقها، ثم انتقل بعد ذلك إلى دمشق، وبقى فيها حتى توفاه الله عز وجل .

عبادته وزهده :

قال ابن رجب – رحمه الله : «كان – رحمه الله- ذا عبادة وتهجد ، وطول صلاة إلى الغاية

---

(١) ومن هنا فمن يقل: ابن القيم الجوزية، أو ابن القيم الجوزى، فقد جانب الصواب.

القصوى ، ولهج بالذكر ،وشغف بالمحبة والإنابة والاستغفار ، والافتقار إلى الله ، والانكسار له ، والاطراح بين يديه وعلى عتبة عبوديته ، لم أشاهد مثله فى ذلك ، ولا رأيت أوسع منه علما، ولا أعرف بمعانى القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه ، وليس بمعصوم ، ولكن لم أر فى معناه مثله . وقد امتحن وأوذى مرات ، وحبس مع الشيخ تقى الدين فى المرة الأخيرة بالقلعة منفردا عنه ، ولم يخرج إلا بعد موت الشيخ ، وكان فى مدة حبسه منشغلا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ، ففتح الله عليه من ذلك كثير ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام فى علوم أهل المعارف والدخول فى غوامضهم ، وتصانيفه ممتلئة بذلك » .

وقال الحافظ ابن كثير –رحمه الله:

« لا أعرف فى هذا العالم فى زماننا أكثر عبادة منه ، وكانت له طريقة فى الصلاة يطيلها جدًّا ، ويمد ركوعها وسجودها ، ويلومه كثير من أصحابه فى بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك –رحمه الله تعالى » .

نشأته:

وقد نشأ وتَربَّى فى بيت علم وتُقى، فأبوه - رحمه الله- كان مُبَرَّزًا فى علم الفرائض وعنه أخذ، كما كان- على حد قول ابن كثير- صالحا فاضلا متعبدا، وقد وصفه أيضا ابن حجر بالتَّعبّد وقلة التكلف.

كما حظيت أسرته - غير أبيه- بكثير من العلماء الربانيين، والفقهاء المتقنين، فى شتى أنواع المعارف والعلوم، مثل أخيه زين العابدين عبد الرحمن وهو من شيوخ الحافظ ابن رجب.

ومثل ابنه عبد الله، وهو الذى تَسلّم التدريس بعد والده فى الصَّدرية، وكان مفرطًا فى الذكاء والحفظ، وأثنى عليه الحافظ ابن كثير، وذكره بخير.

ومثل ابنه إبراهيم، وكان من العلماء المتقنين، عالمًا بالنحو والفقه، أخذ عن والده وغيره، وأفتى ودرّس بالصدرية ، واشتهر صيته، وكان على نهج وطريقة والده.

ومثل ابن أخيه أبى الفداء بن زين الدين عبد الرحمن، والذى كان حريصًا على اقتناء مؤلفات عمه، فجمع مكتبة عظيمة.

طلبه للعلم، وشيوخه:

كان ابن القيم- رحمه الله- متفننًا فى علوم الإسلام، وكان عالـمًا بالتفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق فى ذلك، وكان عالما بعلم السلوك وكلام أهل التصوف، وإشاراتهم ودقائقهم، وله فى كل فن من هذه الفنون اليد الطولى.

وما ذاك إلا للأسباب التالية :

١-أسرته : حيث نشأ – رحمه الله – فى أسرة ذات علم ودين ، هيأته للنبوغ ، كما أشرنا سابقًا .

٢-موطنه (دمشق) : فقد كان لها الأثر الكبير فى احتضان ابن القيم ونبوغه ، حيث توفرت فيها مراكز الإشعاع الفكرى مثل : المساجد والزوايا والمدارس وغيرها ، كما كانت تعج بفحول العلماء .

٣-قدراته الشخصية : يظهر ذلك فيما كتبته عنه كتب التراجم ، فقد شهدت له بالفضل والتقدم وخدمة العلم والرغبة الصادقة فى تحصيل العلم ، والجد العظيم فى البحث والنظر ، والحرية فى التلقى عن شيوخ الحنابلة وغيرهم ، والتفانى فى سبيل العلم ، كما أن ذكاءه وموهبته العقلية وحضوره مجالس العلماء منذ صغرة كان له الأثر فى نبوغه وغزارة علمه ، وليس أدل على ذلك إلا عمره القصير الذى استطاع أن يجعل من نفسه عالـمًا ينتفع الناس بعلمه .

٤-ملازمته لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله :وقد غلب عليه حب ابن تيمية – كما قال الحافظ ابن حجر – حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله ، بل ينتصر له فى جميع ذلك وهو الذى هذّب كتبه ونشر علمه .

فلقد كان لابن تيمية – رحمه الله – اليد الطولى فى تحديد مسار ابن القيم ، فى طلبه للعلم وتوجيهه إلى المذهب الحنبلى ، ومما يدلل على ذلك إقراره هو بنفسه أنه قد وقع فى بعض المهالك كتأويل الصفات ، حتى أتاح الله له من أزال عنه تلك الأوهام وأخذ بيده إلى الطريق السوىّ وهو شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله .

وقد سمع من الشهاب النابلسى العابر، والقاضى تقى الدين سليمان، وفاطمة بنت جوهر، وعيسى المطعم، وأبى بكر بن عبد الدائم، وسليمان بن حمزة الحاكم، وأبى نصر محمد بن عماد الدين الشيرازى ، وابن مكتوم، والبهاء بن عساكر، وعلاء الدين الكندى الوداعى، ومحمد بن أبى الفتح البعلبكى، وأيوب بن نعمة الكحال، والقاضى بدر الدين ابن جماعة، وجماعة سواهم.

وقرأ العربية على أبى الفتح البعلى، قرأ عليه «الملخّص»لأبى البقاء، ثم قرأ الجرجانية، ثم قرأ ألفية ابن مالك، وأكثر الكافية الشافية، وبعض التسهيل، ثم قرأ على الشيخ مجد الدين التونسى قطعة من «المقرّب».

وأما الفقه فأخذه عن جماعة، منهم الشيخ إسماعيل بن محمد الحرّانى، قرأ عليه مختصر أبى القاسم الخرقى، والمقنع لابن قدامة، ومنهم ابن أبى الفتح البعلى، ومنهم الشيخ الإمام العلامة تقى الدين ابن تيمية، قرأ عليه قطعة من المحرَّر تأليف جده المجد، وأخوه الشيخ شرف الدين، وأخذ الفرائض أولا عن والده، وكان له فيها يد، ثم على إسماعيل بن محمد، ثم على الشيخ تقى الدين ابن تيمية.

وأما الأصول فأخذها عن جماعة، منهم الشيخ صفى الدين الهندى، وإسماعيل

ابن محمد، قرأ عليه أكثر «الروضة» لابن قدامة، ومنهم الشيخ تقى الدين ابن تيمية قرأ عليه قطعة من «المحصول»للإمام فخر الدين الرازى، ومن كتاب «الإحكام»للسيف الآمدى.

وقرأ فى أصول الدين على الشيخ صفى الدين الهندى أكثر «الأربعين» و«المحصَّل»، وقرأ على الشيخ تقى الدين ابن تيمية قطعة من الكتابين، وكثيرا من تصانيفه.

وهكذا، وجدناه قد اشتغل كثيراً، وناظر، واجتهد، وأكبّ على الطلب، وصار من الأئمة الكبار فى مختلف العلوم والفنون، وحتى قيل: لم يخلف الشيخ العلامة تقى الدين ابن تيمية مثله؛ وذلك لأنه لما عاد من الديار المصرية فى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات الشيخ، فأخذ عنه علمًا جمًّا.

تلاميذه:

وقد أخذ عن ابن القيم - رحمه الله- خلق كثير من العلماء المشهود لهم بالعلم والفضل فى حياة شيخه وإلى أن مات، وانتفعوا به، وكانوا يعظمونه ويسلمون له، ومن هؤلاء:

- الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى الشافعى، صاحب التآليف الكثيرة فى التفسير، والحديث، والتاريخ، والسيرة، مات سنة ٧٧٤ هجرية.

- الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادى الحنبلى، صاحب المؤلفات العديدة فى الحديث والتاريخ والفقه، وقد لازم ابن القيم فى مجلسه إلى أن مات سنة ٧٩٥ هجرية.

- الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن عثمان بن عبد الرحمن النابلسى الحنبلى، صحب ابن القيم وتفقه عليه، وقرأ- كذلك- عليه أكثر تصانيفه، ومات سنة ٧٩٧ هجرية.

- ابنه إبراهيم، حيث تفقه عليه، وسمع، وقرأ واشتغل بالعلم، وقال عنه ابن كثير : كان فاضلا فى النحو والفقه على طريقة أبيه، ومات ٧٦٧ هجرية.

-الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهادى بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسى، له عناية خاصة بالحديث، وأنواعه، ومعرفة رجاله وعلله، كما أن له باعًا كبيرًا فى الفقه، وقد أفتى ودرس، وصنف الكثير من الكتب، ومات سنة ٧٤٤ هجرية.

مؤلفاته:

صنف الإمام ابن القيم تصانيف كثيرة فى مختلف العلوم والمعارف ،هذا إلى جانب الأهمية البالغة للموضوعات التى تناولها – رحمه الله – فى مصنفاته ، من العودة إلى صراط الله المستقيم ودينه الخالص ، وترقيق القلوب وغيرها من الأهداف السامية النبيلة ؛ ولأجل ذلك كتب الله لمؤلفاته الذيوع والانتشار فى جميع الأقطار ، والأمصار ، ومحبة العباد لها وعشقها لمطالعتها ، ومما يؤكد على مكانة مؤلفاته وأهميتها شهادات معاصريه من العلماء فمن بعدهم ، ومن تلك الأقوال :

-قال الحافظ ابن كثير : « وله من التصانيف الكبار والصغار شىء كثير » .

-وقال الحافظ ابن رجب الحنبلى : « وصنف تصانيف كثيرة جدًّا فى أنواع العلوم» .

-وقال الحافظ ابن حجر : « وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف ».

-وقال السخاوى : « صاحب التصانيف السائرة » .

-وقال محمد البيطار : « صاحب الآثار الكثيرة » .

وإنما تبوأ الإمام ابن القيم هذه المكانة المرموقة – بشهادات أهل العلم التى ذكرنا

بعضًا منها آنفًا – بسبب الخصائص والميزات التى اتسم بها منهجه والتى منها :

١-التعدد والتنوع الموضوعى فى مؤلفاته ، بحيث يصعب على الدارس أن يحكم بتفوقه فى جانب من العلوم دون بقيتها .

٢-أهمية الموضوعات التى يتناولها ، وعِظَم قيمتها، وذلك نتيجة حتمية للأهداف التى نذر نفسه لتحقيقها ، من مثل : تفنيده للعقائد المنحرفة والمذاهب الفاسدة ، وبيان المنهج الصحيح الذى كان عليه سلف هذه الأمة .

٣-معايشته لأوضاع عصره ومشاكله فى مؤلفاته ، فعالج هذه المشاكل ووضع الحلول لكثير من الأدواء المستحكمة فى المجتمع ، مما جعل لكتبه أهمية خاصة لكثير من الناس .

٤-اعتماده فى الاستدلال للمسائل والقضايا التى تناولها على الأدلة النقلية من القرآن الكريم وصحيح السنة ، والتدرج فى سياق الأدلة ، حيث يبدأ بنصوص القرآن الكريم ، ثم يتبعها بنصوص السنة ، ثم بأقوال الصحابة ، وهكذا .

٥-الاعتماد فى الاستدلال على العقل الصريح إلى جانب النقل الصحيح ، فهو مع اعتماده – فى المقام الأول – على نصوص الكتاب والسنة إلا أنه لم ير مانعًا من الاعتماد على العقل الصحيح السوىّ .

٦-عدم تبعيته أو تأثره لمذهب أو رأى معين يخالف الكتاب والسنة ، فمع أنه درس المذهب الحنبلى وبرع فيه ، إلا أنه لم يكن بالذى يتقيد بمذهب إمامه على حساب الدليل ، فقد كان حربا على التقليد والتعصب المذهبى .

٧-حسن الترتيب والتبويب والعرض للمعلومات التى يضمنها كتبه ، مع حلاوة الأسلوب وجمال العبارة ، وعذوبة المنطق وحسن البيان .

٨-الاعتماد كثيرًا على الأحداث والوقائع التاريخية مع قوة الاستحضار لها ،

وبراعة الاستشهاد بها ، وكذا استعانته بالتجارب الخاصة والخبرة الشخصية فى دعم أفكاره وتأييد رأيه .

٩-التواضع الجمّ ، وهضم الذات وإسناد ما يفتح به الله عليه إلى فضل الله وتوفيقه وتأييده .

هذا ، وما وصلنا من مؤلفاته وقامت دلائل التوثيق على صحة نسبتها إليه واحد وثلاثون كتابًا – تقريبًا – منها ما يقع فى مجلد واحد، ومنها ما يقع فى أكثر من مجلد، وهذه الكتب مطبوعة، وفيما يلى ثبت بها:

١-اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية.

٢- أحكام أهل الذمة.

٣- أسماء مؤلفات ابن تيمية.

٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين.

٥- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان.

٦- إغاثة اللهفان فى حكم طلاق الغضبان.

٧- بدائع الفوائد.

٨- التبيان فى أقسام القرآن.

٩- تحفة المودود بأحكام المولود.

١٠- تهذيب سنن أبى داود.

١١- جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام.

١٢- حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح.

١٣- حكم تارك الصلاة.

١٤- الداء والدواء.

١٥- الرسالة التبوكية.

١٦-الروح.

١٧-روضة المحبين ونزهة المشتاقين.

١٨- زاد المعاد فى هدى خير العباد (وهو ما قمنا بتحقيقه تحقيقا كاملا لأول مرة).

١٩- شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.

٢٠- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.

٢١- طريق الهجرتين وباب السعادتين.

٢٢- الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية.

٢٣- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.

٢٤- الفروسية.

٢٥- الفوائد.

٢٦- الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية.

٢٧- الكلم الطيب والعمل الصالح، وهو الوابل الصيب.

٢٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

٢٩- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة.

٣٠- المنار المنيف فى الصحيح والضعيف.

٣١- هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى.

ويقول الحافظ ابن كثير عنه:«وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وكتب بخطه الحسن شيئًا كثيرًا، واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف».

ثناء العلماء عليه:

لقد أثنى على الإمام ابن القيم- رحمه الله- كل من ترجم له أو تكلم عنه، بما يدلل على علو مرتبته وعظيم شمائله ومزيد فضله، سواء فى علمه أو عبادته، فمن ذلك:

قال الحافظ ابن حجر :

«كان جرىء الجنان، واسع العلم، عارفا بالخلاف ومذاهب السلف».

وقال الشوكانى:

«كان متقيدًا بالأدلة الصحيحة، معجبًا بالعمل بها، غير مُعَّول على الرأى، صادعاً بالحق، لايحابى فيه أحدًا».

وقال الحافظ ابن رجب:

« كان عارفًا بالتفسير لا يُجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يُلحق فى ذلك، وبالفقه وأصوله، وبالعربية، وله فيها اليد الطُّولى، وبعلم الكلام ، وبكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم، ولا رأيتُ أوسعَ منه علماً، ولا أعرفَ بمعانى القرآن والسنة، وحقائق الإيمان، وليس هو بالمعصوم، ولكن لم أر فى معناه مثله».

وقال القاضى برهان الدين الزرعى:

«ما تحتَ أديم السماء أوسع منه علما، درس بالصدرية، وأمَّ بالجوزيّة، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة، وصنف تصانيف كثيرة جداً فى أنواع العلوم، وكان شديد المحبة للعلم وكتابته، ومطالعته وتصنيفه، واقتناء كتبه، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره».

وقال الحافظ الذهبى:

«عُنِى بالحديث ومتونه وبعضِ رجاله، وكان يشتغل فى الفقه، ويُجيدُ تقريره، وبالنحو ويدريه، وفى الأصلين، وتصدر للاشتغال، ونشر العلم».

وقال الحافظ ابن كثير:

«برع فى علوم متعددة، لاسيما علم التفسير، والحديث، والأصلين، ولما عاد ابن تيمية من مصر سنة (٧١٢ هـ) لازمه إلى أن مات، فأخذ عنه علماً جماً، مع ما سلف له من الاشتغال، فصار فريدا فى بابه فى فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً، وكثرة الابتهال، وكان حسنَ القراءة والخُلق، كثير التودد، لايحسُد أحداً ولا يؤذيه، ولا يَحْقِدُ على أحد».

وقال ابن ناصر الدمشقى:

«وكان ذا فنونٍ من العلوم، وخاصة التفسير والأصول من المنطوق والمفهوم، وقال: قال أبو بكر محمد بن المحب فيما وجد بخطه: قلتُ أمامَ شيخنا المِزى: ابنُ القيم فى درجة ابنِ خزيمة؟ فقال: هُوَ فى هذا الزمان، كابن خزيمة فى زمانه».

وفاته:

وتوفى- رحمه الله- وقت العشاء الآخرة ليلة الخميس، ثالث عشر رجب، وصلى عليه من الغد بالجامع الأموى الكبير بدمشق عقيب الظهر، ثم بجامع الجراح، ودفن بمقبرة الباب الصغير، وكان قد رأى قبل موته بمدة الشيخ تقى الدين ابن تيمية- رحمه الله- فى النوم وسأله عن منزلته، فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر، ثم قال له: وأنت كدت تلحق بنا، ولكن أنت الآن فى طبقة ابن خزيمة، رحم الله الجميع رحمة واسعة ورضى عنهم وأسكنهم فسيح جناته[1].

---

(١) يراجع فى ترجمته- على سبيل المثال: البداية والنهاية لابن كثير(١٨/ ٥٢٣، ٥٢٤)، وطبقات الحنابلة لابن رجب(٤/ ٤٤٧-٤٥٢)، والدرر الكامنة لابن حجر (٣/ ٤٠٠-٤٠٣)، والبدر الطالع للشوكانى(٢/ ١٤٣-١٤٥)، والوافى بالوفيات للصفدى(٢/ ١٩٤-١٩٦)، وشذرات الذهب لابن العماد (٦/ ١٦٨-١٧٠)، وبغية الوعاة للسيوطى(١/ ٦٢، ٦٣)، وطبقات المفسرين للداودى(٢/ ٩١، ٩٣)، والأعلام للزركلى(٥٦) ،ابن قيم الجوزية (حياته وآثاره وموارده) للشيخ بكر أبى زيد .

نماذج من
صور المخطوطات

(الصفحة الأولى من الجزء الأول من النسخة «ح»)

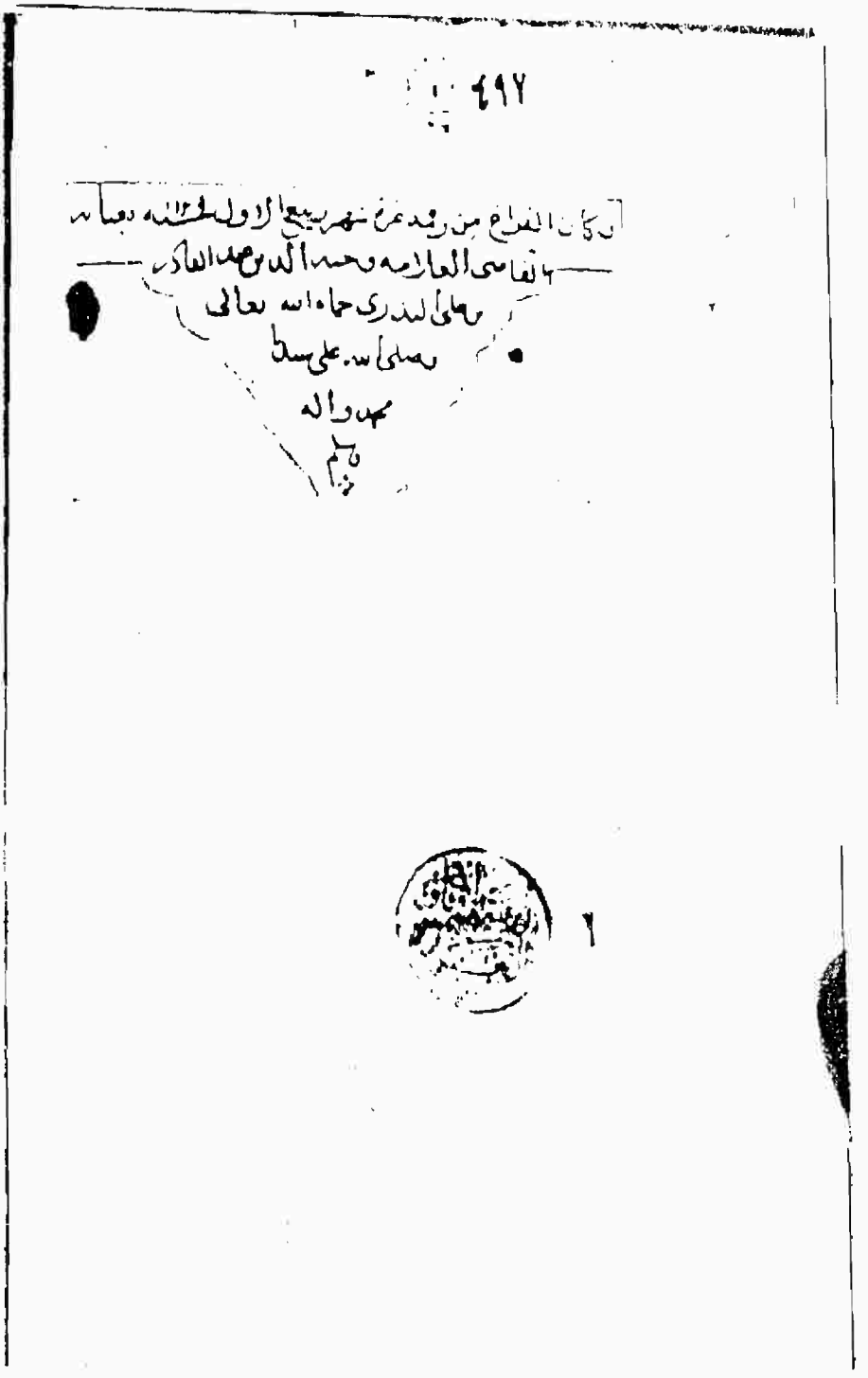

(الصفحة الأخيرة من الجزء الأول من النسخة «ح»)

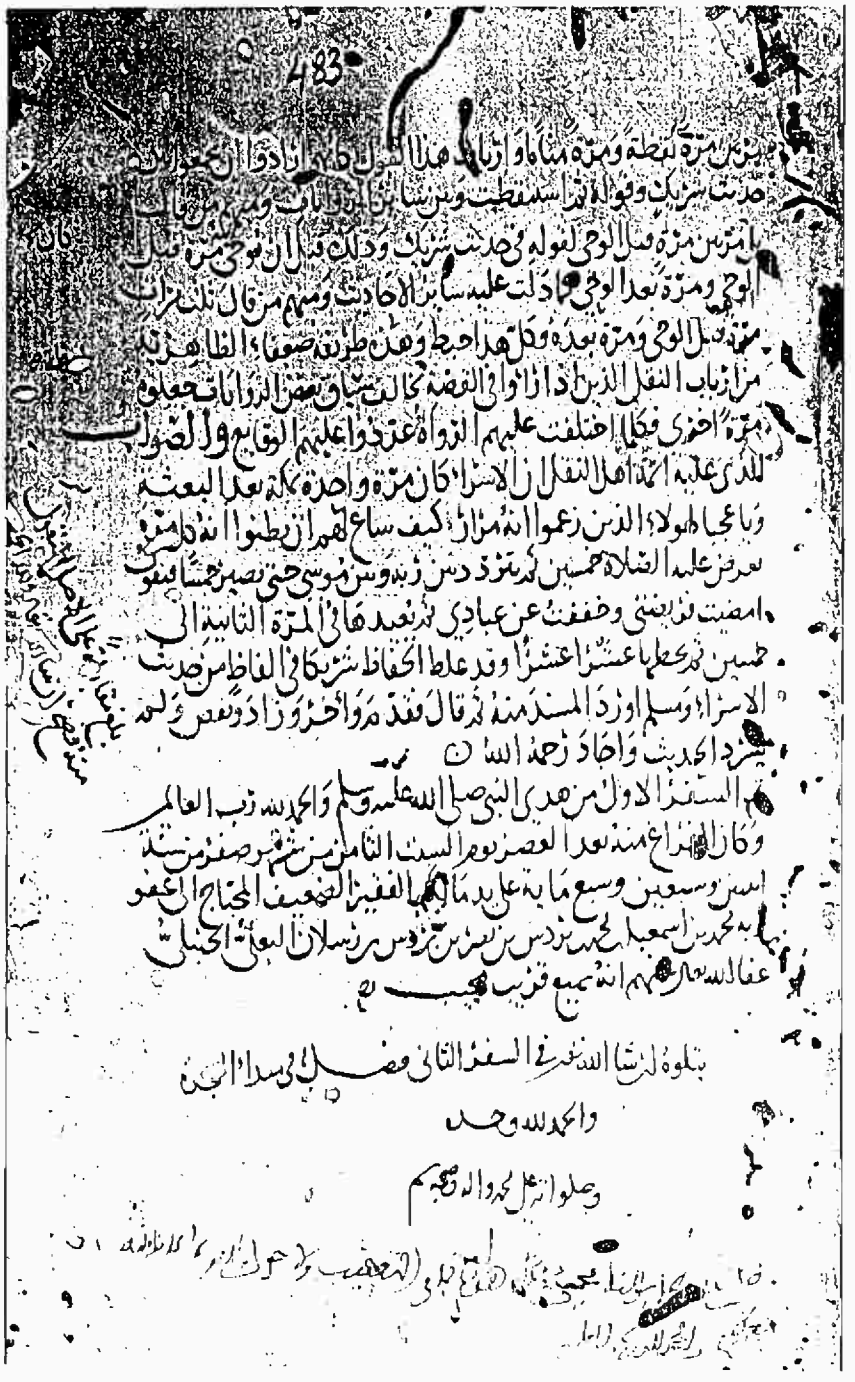

(الصفحة الأخيرة من الجزء الأول من النسخة «ك»)

(الصفحة الأخيرة من الجزء الثالث من النسخة «ك»)

(الصفحة الأولى من الجزء الثانى من النسخة «م»)

(الصفحة الأولى من الجزء الثانى من النسخة «هـ»)

(الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني من النسخة «هـ»)

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله وسلم عليه
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين ولا اله الا الله اله
الاولين والآخرين وقيوم السموات والارضين ومالك يوم الدين الذي لا تصلح الا
في طاعته ولا عز الا في التذلل لعظمته ولا غنى الا في الافتقار الى رحمته ولا تهدي الا في
الاستهداء بنوره ولا حياة الا في رضاه ولا نعيم الا في قربه ولا صلاح للقلب ولا فلاح الا في
الاخلاص له وتوحيده الذي اذا اطيع شكر واذا عصي تاب وغفر واذا دعي اجاب
واذا عومل اناب والله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
وسبحان من تسبح له السموات وما فيهما والنجوم وافلاكها والارض وسكانها
والبحار وحيتانها والنجوم والجبال والشجر والدواب والانام والرمال
وكل رطب ويابس وكل حي وميت تسبح له السموات
السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم انه كان حليما غفورا واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له كلمة قامت بها الارض والسموات
وخلقت لاجلها جميع المخلوقات وبها ارسل الله رسله
وانزل كتبه وشرع شرايعه ولاجلها نصبت الموازين
ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار وبها
تقسمت الخليقة الى المومنين والكفار والابرار والفجار
فهي منشأ الخلق والامر والثواب والعقاب وهي الحق
الذي خلقت له الخليقة وعنها وعن حقوقها السوال والحساب
وعليها يقع الثواب والعقاب وعليها نصبت القبلة وعليها
اسست الملة ولاجلها جردت سيوف الجهاد
وهي حق الله على جميع العباد فهي كلمة الاسلام

(الصفحة الأولى من الجزء الأول من النسخة «ق»)

(الصفحة الأخيرة من الجزء الثالث من النسخة «ق»)

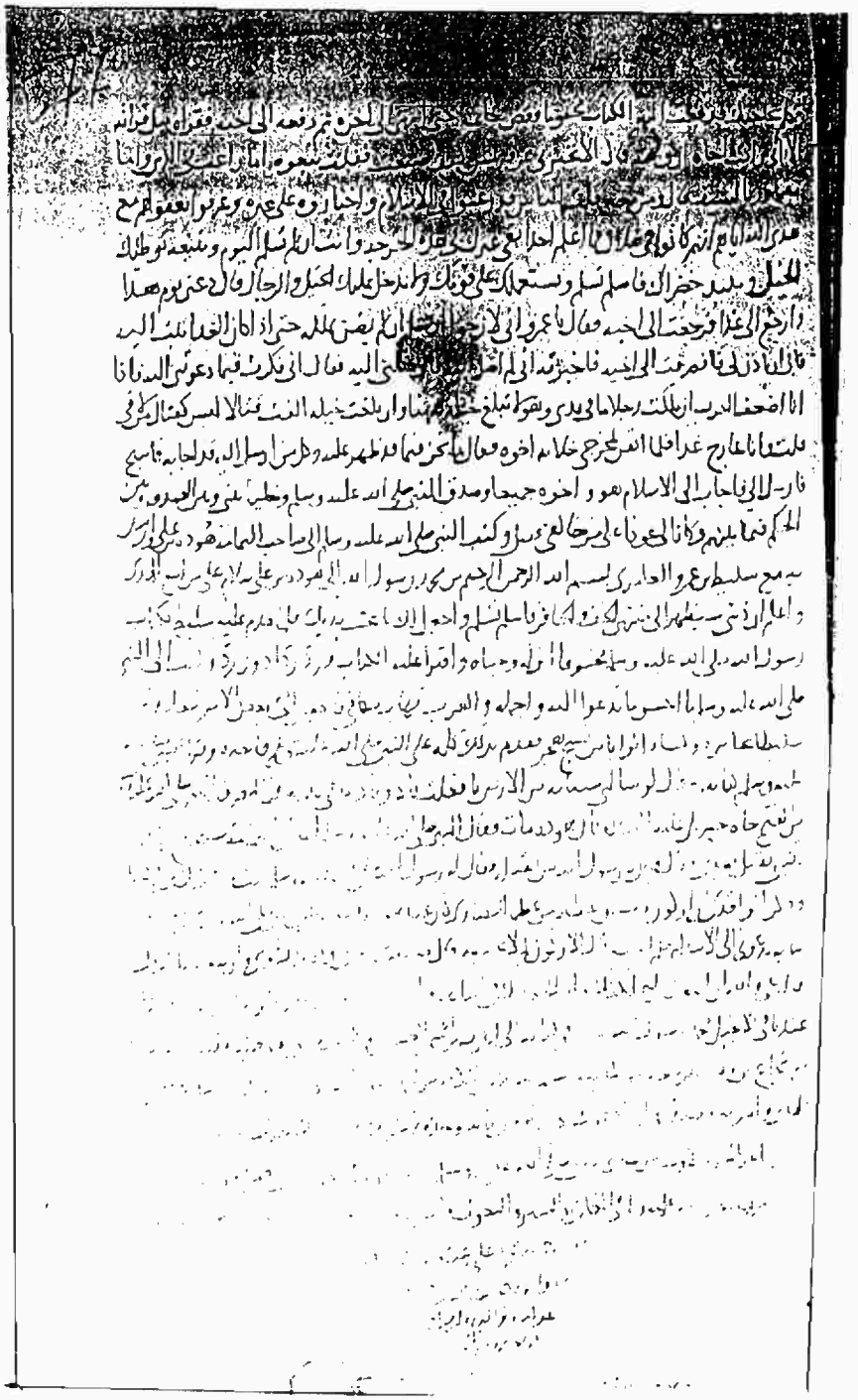

(الصفحة الأخيرة من الجزء الأول من النسخة «ط»)

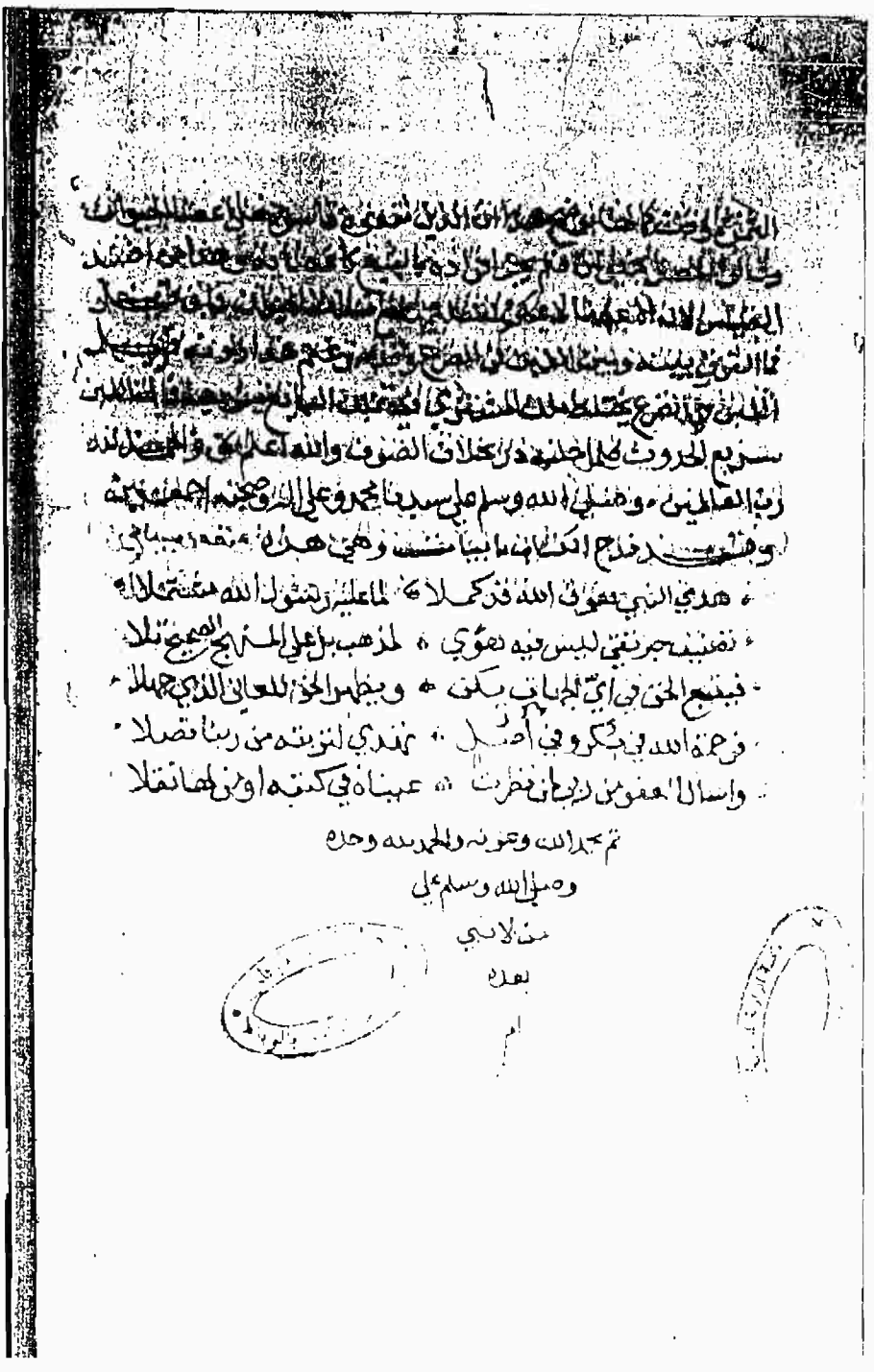

(الصفحة الأخيرة من الجزء الثانى من النسخة «ط»)